

قراءة جديدة في النقش التأسيسي لمسجد سيدي أبي الحسن

للأستاذ مبارك بوطارن

في الحقيقة إن هذا النقش الذي نحن بصدد معالجته قد سبقنا إلى دراسته الأستاذ رشيد بورويبة ، و قد نشر جزء منه في كتابه " الكتابات التذكارية في المساجد الجزائرية " (1) ، ولكنه وربما إنطلاقا من طبيعة دراسته ، إكتفى بنشر بعض أجزاء النقش التي تخدم تاريخ إنشاء هذا المسجد ، الأمر الذي أثار إنتباهنا ، فرأينا من باب تعميم الفائدة التطرق إليه مرة ثانية لما كان يحتوي عليه من أشياء جديدة جديرة بالدراسة ، و فيمايلي نص النقش :

- نقش العمود الأيمن : بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم تسليما .
- نقش العمود الأفقي العلوي : بني هذا *المسجد للأمير أبي عامر براهيم * * إبن السلطان
-نقش العمود الأيسر : أبي يحي يغمراسن بن زيان في سنة ست و تسعين و ستمايه من بعد وفاته رحمه الله .

.1)Bourouiba(R):Lesinscriptions commemoratives des Mosquées d'Algerie O.P.U 1984 , p 124
* هذا : وهذا و هما كلمتان جائزتان لغويا .
* * وردت هذه الكلمة في النص بهذه الصورة (براهيم) .

تمثل هذه الأعمدة الكتابية الثلاثة النص الذي نشره الأستاذ رشيد بورويبة ، بينما تمثل الأسطر الآتية الجزء الباقي من النص و الذي لم ينشر سابقا .
العمود الأفقي الأسفل : ورجا ثوابه الجسيم لإله إلا هو الغفور الرحيم .

اللوحة الوسطى :

- 1- وحبس لهذا المسجد .
- 2 -عشرون حانوتا منها بحائط قبلته .
- 3 -أربعة عشر و أمامها ستة منها .
- 4-أبوابها تنظر للجوف .
- 5 - و مصرية بغربي المسجد على باب .
- 6- الدرب ودار ابن تحاث بغربيه .
- 7 - الواحد لسكنا* من العامة و التا .
- 8 - نية لسكنا المؤذن القيم بخدمته .
- 9 - و أذانه تحبيساتاما مؤبدا .
- 10 -إحتسابا لوجه الله العظيم .

التعليق على النص :

نقشت هذه الكتابة بالأسلوب الأندلسي على لوحة من الرخام طولها متر واحد و عرضها 0.53م (1) ، وهي مثبتة حاليا على الجدار الغربي للمسجد ، و تتضمن هذه اللوحة الرخامية على نقشين ، الأول و يتوسط اللوحة ، و قد نقشت فيه قائمة بالأملاك الموقفة على المسجد أما الثاني فيحيط باللوحة في شكل أعمدة طويلة نقش فيها تاريخ إنشاء المسجد ، و الجدير بالملاحظة أن النقش الكتابي نفسه

* وردت هذه في النص بهذا الشكل (سكنا) .
(1) Bourouiba (R) : Opcit.P.126.

يتكرر في إفريز محراب هذا المسجد وهو تقليد إنفرد به هذا المسجد عن بقية المساجد المرابطية الجامعة التي مازالت قائمة .

و تشغل الفراغات الواقعة بين أسطر النقش و حروفه حليات زخرفية مشكلة من الأوراق النباتية و الأزهار مما يجعل من هذا النقش لوحة زخرفية جميلة .

أهمية النقش :

نستدل بالنقش سالف الذكر على إسم الأمير الذي تولى مدينة تلمسان في هذه الفترة، و الشخص الذي خلد المسجد ذكراه ، و أن نسبة المسجد إلى الشيخ أبي الحسن إنما حدثت فيما بعد ، فإبو الحسن هذا هو أحد العلماء الذين وفدوا إلى تلمسان من مدينة تنس في أواخر القرن السابع و بداية القرن الثامن الهجري ، و قد حظى بمكانة عالية عند السلطان المريني أبي يعقوب و كان فقيه حضرته (1). و ربما كان يتولى التدريس في هذا المسجد فنسب إليه، و لو لم يحتفظ المسجد بهذين النقشين لكنا قد وقعنا في خطأ قد تترتب عنه بعض الآراء الخاطئة في صحة هويته.

و من أهم ما جاء في نص النقش تحبیس أملاك أوقفت عليه من بينها عشرون حانوتا وردت في النص كما كانت موزعة حوله، و دار نسبت إلى ابن تحاث ، هذه الشخصية التي لم نعثر لها عن تفسير في المصادر و المراجع التي أتاحت لنا الفرصة للإطلاع عليها ، غير أننا نرجح أن يكون الشخص الذي أهدى هذه الدار للمسجد فعرفت بإسمه.

(1) التنسي (محمد) : تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ، تحقيق محمود بوعیاد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، و المكتبة الوطنية ، الجزائر ، 1985، ص 9

و قد ورد في نص النقش أيضا مصطلح بالغ الأهمية يستوجب منا الوقوف عنده قليلا ، ألا وهو مصطلح "المصرية" فهذا المصطلح أيضا لم يسبق أن صادفناه في النقوش المرابطية.

فالمصرية مفرد، جمعها مصري و هي بيت لسكنى العامة و قد كان هذا المصطلح سائدا في بلاد الاندلس و مازال يعرف في اللغة الإسبانية بهذا الاسم العربي ALMECERIA ، وحسب ما أشار إليه الأستاذ عبد العزيز سالم فإن المصرية كانت منتشرة في الأحياء التجارية الأندلسية وهي عبارة عن دور صغيرة تتألف من طابق واحد و أحيانا من غرفة واحدة تعلو الحوانيت(2).

و الحقيقة أن المصرية التي ورد ذكرها في نص النقش لاندري عما إذا كانت تعلو الحوانيت مثلما هو سائد في بلاد الأندلس ، أم مستقلة أم كانت ملحقة بالمسجد لأن النص يكتنفه بعض الغموض حول هذه النقطة ، غير أن الأهم من هذا هو المصطلح نفسه ، لأنه مهما كانت دلالاته مطابقة لما عرف به في الاندلس أم لا ، فإن المصطلح بحد ذاته يعتبر من بين التأثيرات الأندلسية التي تلقاها المغرب في هذه الفترة من تاريخه ، و التي تكون قد إنتقلت إلى المشرق عن طريقه ، خاصة و أن مصطلح المصرية هذا إذا مأخذناه كغرفة مستقلة تعلو الحوانيت فهي أيضا قد شاع إستخدامها في بلاد المشرق حيث كانت تسمى بالعلية.

(2) عبد العزيز سالم : في تاريخ و حضارة الإسلام في الاندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 1985 ، ص 186

المراجع :

(1) التنسي (محمد) : تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ، تحقيق محمود بوعباد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، و المكتبة الوطنية ، الجزائر ، 1985

(2) عبد العزيز سالم : في تاريخ و حضارة الإسلام في الاندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 1985

(1) Bourouiba (R) : les Inscriptions Commemoratives des
mosquées d'Algerie O.P.U198